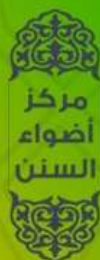
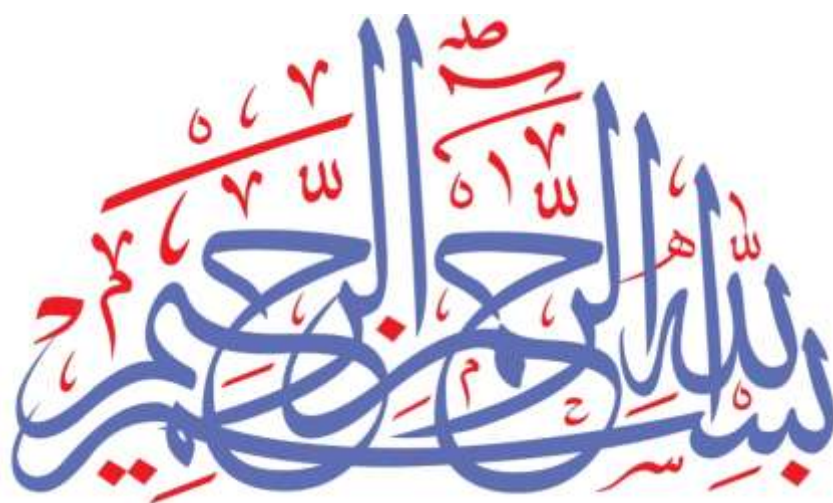


فوائد الورد القرآني

صياغة
د. حمزة بن فايع الفتحي





(يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرأ، وارق، ورتل كما كنتُ ترتل في الدنيا، فإن منزلتكَ عند آخر آيةٍ تقرأها) حديث شريف صحيح

(القرآنُ بستانُ العارفين، فأينما حلّوا منه حلّوا في نزهة) . محمد بن واسع رحمه الله.

(ما رأيتُ شيئاً يغذي العقلَ والروح ويحفظُ الجسم، ويضمنُ السعادة، أكثرَ من إدامة النظر، في كتاب الله تعالى) . الإمام ابن تيمية رحمه الله.

الفهرس

١	الفهرس
٢	البداية
٥	١ / التنمية الإيمانية:
٨	٢ / تجديد اليقين:
١٠	٣ / تحصيل الثواب:
١٢	٤ / التهذيب الخُلقي:
١٥	٦ / الصيانة الفكرية:
١٧	٧ / الانتفاع التوجيهي:
١٩	٨ / الحفز الدعوي:
٢١	٩ / الدليل الحاضر:
٢٥	١٠ / السرور اليومي:
٢٧	١١ / الفهم الإجمالي:
٢٨	١٢ / التدبر النافع:
٣١	١٣ / الوعي التاريخي:
٣٣	١٤ / الاتساع التدبري:
٣٨	١٥ / التصنيف القرآني:

- ٤٠ /١٦ التقويمُ اللساني:
- ٤١ /١٧ الدواءُ الروحي :
- ٤٤ /١٨ القوةُ الجسدية :
- ٤٧ /١٩ التثبيتُ الوجودي :
- ٤٩ /٢٠ البركةُ المعيشية :

البداية

الحمد لله تفضل بالفواضل، وامتن بالنوائل ، وأقام فينا
الدلائل ، والتي أجلها كتابه النازل، وذكره الفاضل ، وأصلي
وأسلم على نبينا محمد خير ذاكِرِ عامل، وعلى آله وصحبه
الأطهار الكوامل ...

أما بعد:

فما طابت الحياة إلا بذكر الله، ولا زانت إلا بتعظيمه
وتسبيحه ، وأعظم مذكور به ، كتابه القرآن ،
وكلامه التبيان ، أنزله الله هدايةً للناس، ومفتاحاً
لسعادتهم، وبوابةً لعزهم ، وطريقاً لأمجادهم،
وسبيلاً لانتصارهم ، ومستنداً لحضارتهم، ونافذةً
لتفوقهم، ومفزعاً لمعضلاتهم ، ومخرجاً من
ضيقاتهم ، فيا لله كم فيه من موانح، وكم احتوى
من فضائل ، تلاوته عبادةً، وقراءته ديانة، وورده
سعادة، وترداده انشراح وريادة.

وكلما حافظ المرءُ عليه ازداد نوراً وشرحاً ورفعةً،
وإذا ما قصر ابْتُلي ونُكب، وأحاطت بهِ الضيقة .
ولكلُّ واحدٍ منا وردُه الغدائي والعملي والمصلحي ،
الذي يحافظه ويعتني به يومياً، فهلّا اعتنى بأجلُّ
ورد، وأحسن وظيفة، وأطيبِ منال، وهو الزاد الذي لا
غنى عنه، والرصيدُ الذي من فقده فهو خاسر .
زهرُ الحياة ونورها ، وزاد الذكر الخالص وصفوه،
والعُدة العلية الثمينة، التي فاقتِ الحررَ والذهب
والجواهر، وجعله الله روحاً تحيا به النفوس،
وتستيقظ البصائر، وتقشعر الأجساد ، (وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا) سورة الشورى .
ولذلك أحببنا في هذه الرسالة المختصرة ، تجليةً
فوائد ورده المتعاهد ، وثمار ترداد المنتظم، فما

انتظمت لنا الأمور ، إلا بالقرآن ، ولا سارت سواهُ إلا ببركته . وقد كان أصلها مقالةً محدودةً، راجعتها مرةً أخرى ، فرأيتُ جعلها رسالةً مختصرةً، لعظم شأنِ هذا الموضوع ، وأنا فقراء إلى وردنا القرآني ، وتواقون إلى فقه أثره وحسن عاقبته، والله الموفق المنان، وهو خير الفاتحين .

جدة، بوابة الحرمين الشريفين

٢١/٩/١٤٤٣هـ

١ / التنمية الإيمانية:

قال تعالى: [وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا]

[الأنفال: ٢]. فإن مثل الإيمان بالله كمثل شجرة، إن

لم تتعاهد بالسقي والري، أفلست وذوت ، وكان

نهايتها الفناء والهلكة ، فجددوا الإيمان بالتلاوة،

وأحيوا الجسد بالذكر، فإن الذي يذكر ربه والذي لا

يذكره كمثل الحي والميت...!

أحيوا فؤادا لنا بالذكر قد طرقا...من يهدو الله يلقا

اليمن والألقا ..!

قال عليه الصلاة والسلام: (تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ،

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ

فِي عُقُلِهَا). أخرجاه .

وهذا النماء إنما ينصبُّ في القلب أولاً ، فهو موطن
الانطلاق والوهج، والعمل والصالح . وبصلاحه صلاح
الجسد ، وزيادة الإيمان .

والعلامة ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ)، في
المدارج: " فلا شيءٌ أنفعَ للقلب من قراءة القرآن
بالتدبر؛ فإنه جامعٌ لمنازل السائرين، وأحوال العاملين
ومقامات العارفين وسائر الأحوال التي بها حياة
القلب وكماله، ولو علم الناس ما في تدبره
لاشتغلوا به عن كل ما سواه ."

٢٠ / تجديدُ اليقين :

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) سورة السجدة: ٢٤ .
والمرادُ اليقينُ الذي يعلي الإيمان، ويجدُر التوحيد، ويحمي المعتقد، ويثبّت عند مضلاتِ الفتن .
وكلما قرأ العبدُ القرآنَ واستطعم تدبره رسخَ يقينه، وزاد عطاؤه، واستقرت هدايته، وزالت عنه الشكوك والشبهات . لأنّ القرآن وقودُ التوحيد، ومِشعلُ العمل، وداحضُ الشبهات، وملهمُ القربات، وترياقُ الأسقام ، ومِدادُ الدعوة، وقاهرُ الأعادي ، وحجابُ الشهوات، ووثاقُ الثبات .

قال ابن القيم رحمه الله في الإغاثة: " والقرآنُ يوصلكُ إلى نفسِ اليقين في هذه المطالب التي

هي أعلى مطالب العباد، ولذلك أنزله من تكلم به.
وجعله شفاء لما فى الصدور، وهدى ورحمة
للمؤمنين ."

ويقولُ الشيخ رشيد رضا رحمه الله: "واعلم أن قوةَ
الدين وكمال الإيمان واليقين، لا يحصلان إلا بكثرة
قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به
، والعمل بأمره ونهيه ..".

٣ / تحصيل الثواب :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ* لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } [سورة فاطر: ٢٩ - ٣٠] .

فقراؤه من أهل التجارات غير البائرة ، وحملته الفائزون العالون في الدنيا والآخرة، فيحصل الثواب ، وتجمع الأجور ، وتحصد الجوائز ، حتى تكون أكثر درجة، وأعلى منزلة يوم القيامة، وهذا مراد كثير من القراء، والواجب التفكير فيما هو بعد ذلك ، من يقين ثابت، وإيمان عال، وبلاغ متواصل .

قال في الحديث عليه الصلاة والسلام : (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ

أمثالها، لا أقولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِن أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ،؟ وَمِيمٌ حَرْفٌ) " . رواه الترمذي وهو صحيح .
والقرآن يشفع لأهله يوم القيامة ، ويعلو بصاحبه الدرجات العلى في الجنة: قال - صلى الله عليه وسلم -: (يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإنَّ منزلَكَ عندَ آخر آيةٍ تقرؤها).

١٤ / التهذيب الخُلقي :

قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } . [سورة الأحزاب : ٣] .

وإنما كان القرآن كتاب تهذيب وإصلاح ، لأنه كتابُ خلقٍ وأدب ، فيه مكارم الأخلاق، وروائع الشيم، وفيه قال لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام : (وإنك لعلی خلقٍ عظیم) سورة القلم. وقالت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها : " كان خلقه القرآن " .

فاذا قرأته بإمعان هدَّب خلقك، وأصلح أعوجاجك، ودأوى تطاولك، وطيب سلوكك . وفيه أجمعُ آيةٍ في مكارم الأخلاق (خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) .سورة الحجر .

وقال جعفر الصادق رحمه الله : " أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية ، وليس في القرآن آيةً أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية " .
وكان هذا ديدن السلف في تهذيب سلوكهم بالقرآن وأدبياته .

ولما تناول عيينة بن حصن الفزاري على الفاروق رضي الله عنه، كما في البخاري : غَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } ، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . وَاللَّهُ، مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ .

□ ٥ / الإحياء القلبي :

قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) سورة ق: ٣٧.

والقلوب تموت بالغفلة والذنوب ، والقرآن يحييها مما قد يعتريها من أسقام، وقسوة، أو شحوب واختلاف، جراء ذنوب قاتلة، أو خطايا كاسرة، لا يصلحها إلا القرآن والعيش في ظلاله، والتنعم بهدايته ومواعظه ، قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم وشفاء لما في الصدور...) سورة يونس . وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : "فما أشدُّها من حسرة، وما أعظمها من غبنة، على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم خرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسرارُه ومعانيه" .

٦/ الصيانة الفكرية :

قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

سورة الاسراء..

وفي هدايته سلامةً من مزلق الشبهات والخرافات

ومنجاة من البدعة والانحرافات ، وفي التعاهد

اليومي من البدعةِ المؤمنة من التفلت والضلال، لأنّ

الذكرُ بهدايته وعجائبه يمثلُ الدرعَ الحامي من

الاختراق والعبثِ الفكري، ومخانق الشبهات القاتلة،

فقراءته بالوعي واليقين تصنع الطمأنينة والتسليم،

قال عز وحل { وكذلك نُفصلُ الآياتِ ولتستبينَ سبيلُ

المجرمين } . . سورة الأنعام.

وجلُّ أولئك الشباب المتخبطين في ظلمات التيه

والإلحاد مقصرون في صلتهم بالقرآن ، وتعاهدهم

له محدود مهجور ، ولو أصغوا له، وعرفوه تلاوةً
وتدبراً ، والتزموه مطعماً وملاذاً ، لذهبت عنهم
محنٌ كثيرةٌ ، والله الموفق .

٧٧ الانتفاع التوجيهي :

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) سورة النساء : ١٧٤ .
فيجد قارئه فيه المسار الذي يضبط المرء وحركاته وسكناته ، ويسدُّ منطقَه وكلامه، ويصون رده وسلوكه، ويكون له الشخصية المسلمة المستوعبة للكون وتقلباته، فلا زيغٌ ولا ضلال، ولا حيرةً أو انحلال.

فيسمعُ آياتِ ذم (الربا) فيخاف، والنهي عن (الغيبة) فيكف، وزجر (النميمة) فيرتعب ، ويحس أن القرآن معه كلما قرأه وسمعه . ولولا ما فيه من أحوال (القيامَة) وشدتها وقوارعها، لعمت الغفلة ، ولتناساه الناس ...!

يقول في المدارج؛ " فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تُنْهَضُ الْعَبْدَ
إِلَى رَبِّهِ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ، وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنْ
الْعَذَابِ الْوَيْلِ، وَتَحْتُهُ عَلَى التَّضَمُّرِ وَالتَّخْفُفِ لِلِقَاءِ
الْيَوْمِ الثَّقِيلِ " .

١٨ الحفزُ الدعوي :

قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [فصلت: ٣٣].
فتلقى فيه النصوص المحفزة، والقصص المشجعة ،
والدروس الناهضة بك دعويًا وبلاغيًا، فتقذف فيك
المسؤولية ، وتستطعم الواجب الدعوي والبلاغي،
الذي يشعرك بالعزيمة تجاه القرآن عملاً، ودعوةً،
وإصلاحًا، ونشرًا، وتطبيقًا، ...! وكن في ذلك على
طريقة السلف، والجن المؤمنين (فلما قُضي ولوا
إلى قومهم منذرين) سورة الأحقاف .

وتطالع في سير الأنبياء صبرا متينا، وجدا عاليا،
ومروعةً فخمة، واعتزازا راسخا، وكرما باذخًا ، وعلما
منيرا، وتعاملا مهديا، ونظرةً ثاقبة، ونفسية زاهدة،

وتطلعا مباركا ، وإخاء نادرا ، وخشوعاً فريدا. ولا
تنتهي محاسنهم أو تضعف سماتهم . (قل هذه
سبيلي أدعو إلى الله) سورة يوسف .
وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح :
(بأغوا عني ولو آية) .

٩/ الدليل الحاضر:

قال تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) سورة الأعراف: ١٧٩.

فيتكون لدى تاليه القلب الحاضر، والمعرفة الراقية، والذاكرة البديهية، المستوعبة مراجعةً وتفهماً. والبرهان القاطع على ظن مطروح، أو جهل مسروح، أو خطأ مسموح، لا سيما لمن يتدبر القرآن، ويحسن انتزاع النص، وإلقاءه في مواضعه ومطانه..! وهي منزلةً عليا يبلغها الحفظة، والمتجددون مع كتاب الله، وقد وعوا نصوصه، واستحضروا شواهدَه كدلائل التوحيد مثلاً، وفقه القصص والأحكام،

وخلاصة الآداب ، وما يعرفُ حالياً " بالتفسير الموضوعي" ، الذي يعمد إلى وحدة موضوعية كالصبر أو الصدق، مثلاً ، أو علو الهمة، وصلاة الجماعة ، وصفات العالم ، أو سقوط الحضارات، وانتصار المؤمنين، والشخصية الفرعونية المتجبرة... فيجمعها ظاهراً وباطناً ، ومعنى وإيماءً ، وإبانةً وتفقها .

ومنتهى ذلك العلم الجمعي الموضوعي خلاصةً ذهبية، تنقطع فيها أبواب الإبل ، لحسنها وروعتها .
فمثلاً قول الامام أحمد: " ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً " .

والإمام الشافعي رحمه الله واستخرجه دليل الإجماع ، من آية قرآنية وسأله سائل ، أعيته ابتداءً ،

فتغير واعتكف في منزله ثلاثة أيام يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات ويراجعه !
ثم خرج عليهم وأجاب السائل بقوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى). سورة النساء .
والقصة للبيهقي رحمه الله في المدخل إلى السنن. وهذا فنٌ يُكتسبُ بالمراجعة وحُسن التدريس، والدعاة والخطباء ، والفقهاء الاستنباطيون من أحظ الناس به .
وقد يترقى مع حملته حتى يصبحَ نهماً ودربة، فينتقل من الظاهر إلى الرمز والإيماءة .ومن الطريف العجيب هنا، ما ذكره الماوردي رحمه الله في قصة طويلة-أختصرها هنا- عن إسحاق إبراهيم

بن مضارب بن إبراهيم يقول : سمعت أبي يقول
سألت الحسين بن الفضل فقلت : إنك تخرجُ أمثالَ
العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله:
(خير الأمور أوسطها) قال : نعم ، في أربعة
مواضع قوله تعالى: (لا فارضُ ولا بكر عوانُ بين
ذلك) وقوله تعالى : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله تعالى : (ولا
تجعلُ يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل
البسط) وقوله تعالى : (ولا تجهر بطلاتك ولا تُخافت
بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ... الخ .

١٠ / السرور اليومي :

قال تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) .سورة الشرح: ا .
وكما شرح الله صدر رسوله بالقرآن والنبوة، شرح
صدور أتباعه إذا قاموا به خير قيام ، وتلوه أثناء الليل
وأطراف النهار .

قال ابن القيم رحمه الله : " شرح الله صدر رسوله
صلى الله عليه وسلم أتم الشرح، ووضع عنه وزره كل الوضع، ورفع
ذكره كل الرفع، وجعل لأتباعه حظا من ذلك، إذ كل
متبوع فلأتباعه حظ ونصيب من حظ متبوعهم في
الخير والشر على حسب اتباعهم له. فأتبع الناس
لرسوله صلى الله عليه وسلم أشرحهم صدرا، وأوضعهم وزرا،
وأرفعهم ذكرا، وكلما قويت متابعتة علما وعملا
وحالا وجهادا، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبها
أشرح الناس صدرا، وأرفعهم في العالمين ذكرا".

والانشراح المتجدد هو الذي يدفع غلواء الحياة وحُزنها ، ويذيبُ عنَّها وعناءها ، فالحياة كلها تعبٌ ومناكد (لقد خلقنا الإنسان في كبد) سورة البلد . فهو يكابد ويعاني ويحزن، ولا مخرج له من ذلك إلا بتلاوة القرآن ، وترداد الأذكار، والمحافظة على الزاد اليومي، وأكسير السعادة المتجدد (ألم نشرح لك صدرك) سورة الشرح .

والعجيبُ أن هذا السرور يتحول إلى طاقةٍ حية، وغذاء جسدي يغني عن كل غذاء ، ويشفي من كل بلاء ، قال في الإغاثة ؛ " وأنفع الأغذية غذاء الإيمان ، وأنفع الأدوية دواء القرآن وكل منهما فيه الغذاء والدواء " .

١١ / الفهم الإجمالي :

قال تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) سورة الأنبياء.

لأن المطالعة اليومية، ترسخ مفاهيم عامة، وإذا انضافَ معها كتابُ تفسير مصاحب: كالتفسير الميسر، أو بعض المختصرات المشهورة، وما شاكلها ، ساعد في التصور المبدئي للآيات ، ورسخ الوعي وحسن العمل، وتم الانتفاع .

وبالإمكان ختمُ مختصر في التفسير، يكون ملاصقاً بالورد اليومي، يخدم الذكر وتفسيره وتبينه .

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) سورة القمر .

١٢ / التدبرُ النافع :

قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (سورة محمد: ٢٤).

وهو من أجلِّ مقاصدِ التلاوة والتعاهد اليومي ، أن يكون حظنا مع التلاوة تحقيق التدبر، ووعي دلالة الآيات والقصص والبراهين ، قال عز وجل : (كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته) سورة ص . قال الحسنُ البصري رحمه الله: " نزل القرآنُ ليعملَ به ويتدبر فاتخذوا تلاوته عملاً " .

والحقيقةُ أن جلُّ تلك الثمرات مصدرها التدبر، فهو باعثُ اليقين، ومحيي القلب، وشارح الصدر، ومثبت الروح .

وحقيقته كما قال الألويسي رحمه الله (١٢٧٠هـ) :
"وأصلُ التدبر التأمّل في أدبار الأمور وعواقبها ، ثم
استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة
الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه
وأعقابه" .

وليس هو التفسير، الذي معناه البيان، ولكن التفسير
مفتاحٌ ومقدمة له .

ولن تجدَ أثر القرآن وبركته حتى تعتقد أنك مخاطب
به، وعليك أنزل، وإياك أراد وقصد ... يقول الشاعر
الباكستاني محمد إقبال رحمه الله عن تجربته في
فهم القرآن وإقباله عليه : لقد كنت تعمّدتُ أن أقرأ
القرآنَ بعد صلاة الصبح كلَّ يوم، وكان أبي يراني
فيسألني، ماذا أصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظلُّ

على ذلك ثلاث سنوات. وذات يوم قلت له: ما بالك يا
أبي تسألني نفس السؤال، وأجيبك جواباً واحداً، ثم
لا يمنعك ذلك من إعادة السؤال من غد؟! فقال:
إنما أردتُ أن أقولَ لك يا ولدي:
إقرأ القرآن كما لو كان نزل عليك! ومن ذلك اليوم ،
بدأتُ أتفهّمه وأقبل عليه، فكان من أنواره ما
اقتبستُ، ومن درره ما نظمتُ !!
وفعلًا من وُفق لهذه الوصية ، عاش الهدية، وفاز
بالحياة المرضية، وفتحت عليه المناعم، وسلم
الجهل والمأثم .

١٣ / الوعي التاريخي :

قال تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) سورة هود: ٤٩ .

للحياة وتطورات الزمن وأحداثه وتقلباته تفاسير عند الأمم ، وكلٌ يخوض فيها بعقله أو بعلومه وموروثاته ، فلن يجد أحدٌ تفسيراً لما يحصل إلا من خلال الوحي المبارك المنزل لهداية الناس، ومداواة حيراتهم . (وأنزلنا إليك الذكرَ لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون) .

فأمره ونهيه وتوحيده وإخلاصه، وقصصه وتوجيهاته ، مرتبطةٌ بالواقع بشكل عجيب ، وهذا من أسرار إعجازه وقيامه على التحدي إلى اليوم

الموعود . (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيرا) سورة الإسراء.

وما يجري للأمم وحضاراتها من علو أو سفال، أو

سعة أو ضيق، اضطلع بأكثره القرآن ، وقدم الدواء

والثراء والرخاء .

١٤ / الاتساعُ التدبري :

قال تعالى: (وما يعقلها إلا العالمون) . سورة

العنكبوت .

فمع الاستدامةِ القرائية ، والغوص التدبري، ستفجرُ

له معانٍ جديدة، واستنباطاتٌ عزيزة، لا يحصلها إلا

الأكابرُ في العلم، والجهابذة في الفهم والحكمة

، كما قال سبحانه: (وما يعلم تأويله إلا الله

والراسخون في العلم) . سورة آل عمران .

وهذا سرُّ من أسرار القرآن ، أن قراءته الدائمة لا تزال

تفيض معاني جديدة، وحكماً فريدة .

وكل من أدمنه قراءةً وتدبراً ، فاق نظراءه وأقرانه ،

وحمل كلُّ مبهر وفريد .

وهذا مدروك عند أئمة مشاهير كالإمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، ونعتقد أنهم ممن فتح عليهم في هذا الباب فقاهةً وحذقا، كما قال علي رضي الله عنه "إلا فهماً يؤتية الله عبداً في كتابه".

فضلا عن براعتهم في بقية العلوم، فهما مستنبطان حكيمان في علوم التفسير ، قال القرطبي رحمه الله : (إن من أُعطيَ الحكمة والقرآن ، فقد أُعطيَ أفضلَ مما أُعطي ، مَنْ جمعَ علمَ كتبِ الأولين من الصحف وغيرها) .

فمثلا يقول البرزالي رحمه الله في شيخ الإسلام :
"كان إذا ذكرَ التفسير أبهتَ الناسَ من كثرة

محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال " .

وطُبع تفسيره في (٧) مجلدات تحت مسمى (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية) رحمه الله. طباعة دار ابن الجوزي سنة (١٤٣٢) هـ .

للأستاذ / إياد بن عبد اللطيف القيسي، وأرعى وصح على الجهود السابقة .

ومن نماذج تعليقاته رحمه الله : " أن القرآن من تدبره تدبراً تاماً ، تبين له اشتماله على بيان الأحكام، وأن فيه من العلم مالا يُدرکه أكثرُ الناس، وأنه يُبين المشكلاتِ ويفصل النزاعَ بكمال دلالتِهِ وبيانه إذا أُعطيَ حقّه، ولم تُحرّفَ كَلِمُهُ عن مواضعه " .

ومن لطائف كلامه رحمه الله : " والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظمُ سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن..".
ولابن القيم رحمه الله مجموع اعطني فيه بتفسيره سُمي (بدائع التفسير) في (٣) أجزاء ، جمعه الأستاذ/ يسري السيد محمد .

ومنه.. قال عند قوله تعالى: (ن ، والقلم وما يسطرون) : " قسم سبحانه ب(القلم وما يسطرون) ؛ فأقسم بالكتاب وألته ، وهو القلمُ الذي هو إحدى آياته وأول مخلوقاته ، الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي ، وقيد به الدين ، وأثبتت به

الشرية ، وحفظت به العلوم ، وقامت به مصالح
العباد في المعاش والمعاد . فوطدت به الممالك ،
وأمنت به السبل والمسالك ، وأقام في الناس أبلغ
خطيب وأفصح ، وأنفعه لهم وأنصحه ، وواعظا
تشفي مواعظه القلوب من السقم ، وطيبا يبرئ
بإذنه من أنواع الألم ؛ يكسر العساكر العظيمة على
أنه الضعيف الوحيد ، ويخاف سطوته وبأسه ذو
البأس الشديد .

بالأقلام تدبر الأقاليم وتساس الممالك ، والعلم
لسان الضمير يناجيه بما استتر عن الأسماع ، فينسج
حلل المعاني في الطرفين ، فتعود أحسن من
الوشى المرقوم ، ويودعها حكمه فتصير بوادر
الفهوم.

١٥ / التصنيف القرآني :

قال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ). سورة القلم.
المستنتج من طول القراءة وإدامة التلاوة، التي زانت بتدبر خفي، وتأمل رضي، وبصيرة نافذة ،
ونظرة ثاقبة، لا سيما لحملة الصادقين، وأرباب الأعلام ،
وأعلام الفقه والعلم، الذين تهزهم عقولهم للكتابة،
وعلومهم لبث الوعي والاستزادة.

فكم ولدت التلاوة من كتاب، وكم أنتج التدبر من مصنف،
بات مرجعا حفيًا ومصدرا قويًا ، يؤمه القوم من كل مكان،
ويقصدون له الحصن والبنيان .

ومن كان مُدِيمَ الورد، وصاحبَ نظرٍ وسَرد، وتدرّيس كل جزء مُعد،
بورك له وتعمق ، وضاعف جهده

وتألق ، يقول الشافعي رحمه الله : " لَمَّا أَرَدْتُ إِمْلَاءَ
تصنيف أحكام القرآن ، قرأتُ القرآنَ مائةَ مرَّةٍ ."
فهنئنا للقائمين به، ومفسِّريه وناشريه، الذين
امتزجَ بدمِهِم وعصبِهِم ، كم جنوا منه رحيقا،
وخاضوا به عميقا، وسموا من العلم دقيقا رقيقا .

١٦ / التقويمُ اللساني:

قال تعالى : (الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ،

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) سورة الرحمن ١-٣ .

حيث تعملُ الآيات عملها في تقويم اللسان وتعديل

ملافظه ، وتحسين مخارجه، وإذهاب اعوجاجه ،

فتنطق الكلمات انطلاقاً انسيابياً، ويضوع الفمُ

حروفاً من نور، بفضل تلك التلاوة المعتادة ، والورد

المنتظم ، والحفظ المتعاوض. وقد ذكر العلماء

قديماً وحديثاً أثر ذلك على النشء، وثمة دراسات

معاصرة قوية تثبت ذلك بالدلائل والاستبيانات ،

ولبعضهم أن من أهم المهارات التي يكونها

القرآن الكريم عند التلميذ في المرحلة الابتدائية:

فصاحة اللسان، والتذوق الأدبي، والثروة اللغوية،

فهنيئاً لمن ربّي تلاميذه وأبناءه على ذلك النهج .

١٧ / الدواء الروحي :

قال تعالى: (وشفاء لما في الصدور) . سورة يونس .
فهو يعافي ويُشافي كل من استشفى به ،
واستغنى عما سواه، إذا قصد بتلاوته الشفاء ، وكرر
واستدام ، وقال تعالى أيضاً: [وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا
هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا
خُسَارًا] [الإسراء ٨٢].

فهو شفاء للقلوب ، وترياق للأسقام باطناً وظاهراً،
بشهادة البراهين والواقع والحس، وقد جاء في
الصحيحين حديث (وما يدريك أنها رقية) . عَنْ أَبِي
سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا ،
حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَاسْتَضَافُوهُمْ ،

فَابُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فُلِدِعَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا
لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَأ يَنْفَعَهُ شَيْءٌ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ
أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ
يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ. فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا
الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِعْ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَأ
يَنْفَعَهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ
اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى
تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا. فَصَالِحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ،
فَانْطَلَقَ، فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ } حَتَّى لَكَأَنَّهَا نُشِيطٌ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ
يَمْشِي مَا بِهِ قَلْبَةٌ ، قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي
صَالِحُوهُمْ عَلَيْهِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْسِمُوا. فَقَالَ

الَّذِي رَقَى : لَأ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا. فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ : " وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ " .

١٨ / القوة الجسدية :

قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ). سورة هود : ٥٢ .

فعلاوة على ما فيه من تقوية القلب ، ومداواة الروح، يمنح الجسد قوة ونشاطا ، ويزيل الضعف والتراخي، وكل أنواع الذكر تورثُ ذلك وأعظمها القرآن وترداده وحفظه والحفاوة به

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " إنَّ الذكرَ يعطي الذَّاكرَ قوَّةً حتَّى إنَّه ليفعلُ معَ الذَّاكرِ ما لا يطيقُ فعله بدونَه ، وقد شاهدتُ من قوَّةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً ، فكان يكتبُ في اليوم من التصنيف ما يكتبه

الناسخ في جمعة - يعني في أسبوع - أو أكثر ،
وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيما
، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة
وعليا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا
مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثا وثلاثين ،
ويكبرا أربعا وثلاثين ، لما سأله الخادم ، وشكت إليه
ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة ، فعلمها
ذلك ، وقال : **(إنه خير لكما من خادم) فقييل : إن من**
داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية عن خادم"
انتهى .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند حديث علي
وفاطمة في تسبيحات النوم : **"ويستفادُ من قوله:**
"ألا أدلكما على خير مما سألتما" أن الذي يلازمُ ذكر

اللّٰهُ يُعْطِي قُوَّةً أَعْظَمَ مِنَ الْقُوَّةِ الَّتِي يَعْمَلُهَا لَهُ
الْخَادِمُ، أَوْ تَسْهَلُ الْأُمُورُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَكُونُ تَعَاظِيهِ
أُمُورُهُ أَسْهَلَ مِنْ تَعَاظِي الْخَادِمِ لَهَا".

وقال ابن القيم -رحمه الله-، عن شيخه ابن تيمية -
رحمه الله-: "وحضرته مرة، صلى الفجر ثم جلس
يذكر الله -تعالى- إلى قريب من انتصاف النهار، ثم
التفت إليّ وقال: هذه غُدوتي، ولم لو أتغدُ الغداء
سقطت قوتي".

١٩ / التثبيت الوجودي :

قال الله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)
سورة النحل: ١٠٢ .

وهو فرعُ الإيمان واليقين ومن ثمارها ، ولكنه خُص
بالذكر لعظم الحاجة إليه في ظل فتن منتشرة ،
ومدن جامحة، لا ينجو منها الا من تعلق قلبه
بالقران ، ورسخ فيه رسوخ الصحابة الكرام ، وهم
الذين عوتبوا كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:
(ما كان بينَ إسلامنا وبينَ أنْ عاتبنا اللهُ بهذه الآية:
{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ }
إلَّا أربَعُ سنين). رواه مسلم في صحيحه .

ومعتاد تلاوته مظنه تفهمه، والعمل بما فيه ،
والتزام الطريق والأمن من الزلل والخطيئات ، يقول

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَرْقَ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ، وَلَا أَشَدَّ اسْتِجْلَابًا لِلْحَقِّ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ؛"

ويقول الحافظُ ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنْ مَوَاعَظَ الْقُرْآنَ تُذِيبُ الْحَدِيدَ، وَلِلْفَهْمِ كُلِّ لِحْظَةٍ زَجْرٌ جَدِيدٌ، وَلِلْقُلُوبِ النِّيْرَةَ كُلَّ يَوْمٍ بِهِ وَعَيْدٌ، غَيْرَ أَنْ الْغَافِلَ يَتْلُوهُ وَلَا يَسْتَفِيدُ".

فتعين للانتفاع بعظته وتثبيتته تدبره والفقهُ فيه والعمل بتوجيهاته ، ثبتنا الله وإياكم على الصراط المستقيم . ويقول الحسنُ بن علي رضي الله عنه:

"إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رِسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيُنْفِذُونَهَا فِي النَّهَارِ".

٢٠/ البركة المعيشية :

قال تعالى : (وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) . سورة الأنبياء: ٥٠.

أي كثير البركة والخير دائم النفع، وأصل البركة النماء والزيادة.

فالبركة التي في القرآن بركة لا تنتهي، فكل يوم عطاؤه جديد، وفضله في مزيد، و عجائبه لا تنقضي، ومواعظه لا تنتهي ، ويقراه إنسان فيفهم منه معنى، ويقراه آخر فيفهم منه معنى جديداً .

فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود ، إلا القرآن فهو متجدد كل يوم ، يفيض معاني ، ويكشف تجليات ، ويحل معضلات ، وقد جعله الله هدايةً للأنام ، وزاداً للشفاء ، ومخرجاً من الظلمات

والتخبطات ، وفيه مفاتيحُ الرزق والمجد والانتصار ،
يغتني به الفردُ، ويسعدُ به المرء ، ويعيشُ به أسرار
الحياة الطيبة ، وبقدر إخلاصه والاعتناء به تكون
المغانم والنفائس ، والسلام .

وغير ذلك من الفوائد والله الموفق
والهادي إلى سواء السبيل ...

